

الزبيرى .. شاعر اليمن

تقبل الدكتور عبد العزيز عتيق

- ١ -

اتحدث اليكم الليلة (١) عن رائد من رواد الشعر العربي المعاصر في اليمن . والهدف الذي ابغى الوصول اليه من وراء هذا الحديث هو بيان الدور الطبيعي الذي قام به الشعر اليمني المعاصر في التوعية الثورية التي انتهت بالشعب الى تحطيم قيوده والانطلاق الى تشكيل مصيره كما يريد هو ، لا كما يريد له حكامه المستبدون .

والثورات لا توجد من عدم ولا تولد من فراغ ، وانما هي وليدة احداث تاريخية لها دوافعها والدافعون اليها . والشعوب لا تقوم بالثورات اعتباطا ، ولا لها وعبثا ، وطيشا وحمقا ، انما تلجأ الشعوب الى الثورات او تتركه عليها عندما تنازمت امورها ويصبح الاختيار امامها اختيارا بين التقدم او التخلف ، والعدل او الظلم ، والحياة او الموت ! ورجال الفكر وارباب الاقلام عادة في طبيعة الدافعين الى الثورات والمهدين لها : فهم الذين يصرون الشعوب بحقوقهم ويدافعون عن هذه الحقوق ، وهم الذين يتعاطفون مع الشعوب في كل ما ينزل بهم من سوء لانهم منهم ، وهم الذين يتصدون للحكام الجائرين ويظهرونهم على حقيقتهم حتى لا يطول امد انخداع الشعوب فيهم ، ثم هم بكل هذا وبغير هذا يمهدون للثورات ، اذا كان لا بد منها ، طريقها المحتوم .

والكلمة ... الكلمة التي تنزل على قلوب الشعوب الملهمة بردا وسلاما ، وعلى نفوسهم عزا واصرا ، وعلى جراحيهم بلسما وشفاء ، هي نفس الكلمة التي تنفذ الى اعماق اعماق الطفلة براكين متفجرة وقنابل مدمرة !

هذه الكلمة التي اودعها الله كل هذه القوى والاسرار هي السلاح الذي يحملها رجال الفكر وارباب الاقلام ، وما اكثر الصور التي تبسود او تتجسد فيها بين مقروءة ومسموعة !

ولكن هذه الكلمة الالهية التي لها كل هذه القوى والاسرار لم تستطع ، وقد تلقاها رجال الفكر في اليمن ، ان تعبر عن نفسها الا في صورة واحدة مسموعة ، هي صورة الشعر !

اجل كانت الكلمة الشاعرة هي الوسيلة الكبرى لتوعية الشعب اليمني قبل الثورة ، وذلك لانعدام ما عداها من الوسائل التي تتخذها الكلمة سبيلا الى الناس مقروءة او مسموعة !

ومع ذلك فقد لعبت الكلمة الشاعرة دورا اساسيا خطيرا في هز روح الشعب اليمني وايقاظه وتحريكه ، كما كان لها المحل الاول في توعيته الثورية ، وتوجيهه صوب هدفه لتحقيق وجوده كإنسان . فالشعب اليمني العربي ، بطبيعته يحب الشعر ، ويطرب له ، ويترنم به . ورب بيت واحد من الشعر لمس قلبه ، كان عنده اقوى اثرا واشد وقعا من مضمون مقال او خطاب او كتاب !

من اجل ذلك عرف رجال الفكر من احرار اليمن وثواره ، كيف يدخلون عليه من الباب الذي يفضله ويؤثره ، وبأي لغة يتحدثون اليه حتى يفهمهم ويستجيب الي دعوتهم !

وقد عرف اليمن في مراحل نضاله السياسي الذي توج اخيرا بالثورة واعلان الجمهورية - كثيرا من ابناائه الشعراء الذين غنوا له بملامح رائعة من الشعر الثوري ، وتحملوا في سبيل تحريره وانطلاقه اشجع السوان العذاب والفدر والانتقام .

وقصص اولئك الشعراء الابطال باهرة رائعة ، لما اشتملت عليه من

(١) محاضرة القايت في جامعة بروت العربية .

معاني الولاء والوفاء ، والبذل والفداء ، والنضحية والابداع . وهي في تاريخ اليمن الثوري الحديث بلا شك صفحات فخار ومصدر الهام للاجيال القادمة !

من اولئك الابطال - مثلا - عبد الله البردني الشاعر الضريف : عذبه الاتمة وسجنوه عدة مرات بسبب شعره الثوري ، ومع ذلك ظل نائرا متمردا حتى شهد الثورة فغنى - ولا يزال يغني - بانتصاراتها !

ومنهم علي عبد العزيز نصر : وقد اضطر من شدة الاضطهاد ان يهاجر الى عدن حتى اذا قامت الثورة عاد الى اليمن ، لقد كان هذا الشاعر الموهوب ينشر قصائده الثورية في الصحف المدنية فتحدث دوبا هائلا . وكان اليمنيون من شدة اعجابهم بها يحفظونها ويناقلونوها ويترنمون بها فتأخذ بمجامع الباهم وتلهب مشاعرهم وخواطرهم ؟

ومنهم السيد احمد المطاع : شاعر ساهم في ثورة ١٩٤٨ مساهمة ايجابية فعالة ، ولكن للحكام الطغاة تمكنوا منه فاعدموه ومثلوا بجثته ، انتقاما لاشتراكه في الثورة !

ومنهم احمد الوريث : ويعد من اكبر المفكرين اليمنيين نشرا وشعرا ، وقد حاول الامام يحيى ان يستميله اليه ، فلما ابى الشاعر بيع نفسه وميدته واعز الامام الى بعض زبائنه ففسدوا له السم فمات مسموما ، ومنهم غير هؤلاء كثيرون وكثيرون .

ثم منهم محمود محمد الزبيرى : الشاعر الرائد ، والذي اتخذ من شعره الثوري موضوع محاضرة الليلة .

- ٢ -

والزبيرى ، بالاضافة الى كونه شاعرا ، ذو عقيدة سياسية ، عقيدة ترمي الى العمل الايجابي بالقول والفعل ، من اجل قضية الانسان المواطن حرة وكرامة ، ومن اجل تحطيم كل القيود التي تحرمه الحركة ، وكسل السدود التي تحول دون تقدمه وابداعه في الحياة لنفسه وللانسانية .

ووفاءه لعقيدته السياسية هذه فرض عليه فيما فرض ان يتقدم جريئا الى المعركة ، وان يدافع فيها مستميتا . ولكن عمن اي شيء يدافع ؟ ولماذا يدافع ؟

عن أي شيء يدافع ؟

وهل هناك مطلب اجل واشرف من ان يدافع الانسان المؤمن المفكر حافظا على شرف وطنه ، واستردادا لحرية قوميه وحقوقهم السلبية ، وهل هناك ما هو ابقى للانسان من ان يعمل على ايقاظ شعبه المفلوج على امره من سباته العميق ، وان يبصره بما يعيش فيه من واقع رهيب ، حتى يشور على اعداء انسانيته ، ثم يمارس نشاطه في الحياة كسائر الشعوب الطليقة المنطلقة !

ولماذا يدافع ؟

عجبا ! هناك قيم اسمى من هذه القيم الوطنية والانسانية تفرض على الاحرار ان يدافعوا عنها ؟ ليس السؤال في مثل هذه المواقف : لماذا يدافع الاحرار ؟ ولكن السؤال هو : لماذا لا يدافعون ؟

وقد فعل الشاعر ... فدافع .

اجل .. عاش حياته مدافعا عن معتقداتسه الوطنية والانسانية ، وشارك في كل احداث وطنه السياسية ، وتحمل - عن رضاء وايمان - كل ما اصابه من اضطهاد وتعذيب ، ونفي وتشريد !

وفي سبيل عقيدته ايضا شهر قلمه المرهف سيفا مصلتا على رقاب اعداء الشعب اليمني ، حتى تحقق النصر اخيرا لهذا الشعب العربي بشورته الرائعة : تلك الثورة التي ظهرت الى الوجود اليمني والعربي

في اليوم السادس والعشرين من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ بزعامة الرئيس السلال .

- ٣ -

وإذا تصفحنا دواوين الشعراء المعاصرين في أي جزء من أجزاء الوطن العربي : فاننا - ولا ريب - نلتقي في كل ديوان منها بصفحات مشرفة من الشعر القومي ، تخلف من ديوان إلى آخر كما ونوعا . ولكن قلما نجد بين شعرائنا المعاصرين من وقف كل إنتاجه أو معظمه على الشعر القومي السياسي ، كما فعل الزبيري في ديوانه « ثورة الشعر » وعن ذلك يحدثنا الشاعر بقوله : « وشعري أو معظمه تطفئ عليه السياسة ، سواء ما كان منه مدحا ، وما كان رثاء ، وما كان ثورة ، وما كان شكوى ، أو ما كان شيئا غير ذلك . وهذا هو منطق الواقع ، فإن حياتي كلها ليست حياة شخصية منفكة عن الحياة العامة بأي حال من الأحوال » .

وظيفان السياسة ليس قاصرا على شعره ، إنما هو اتجاه عام عنده يتعداه إلى كل إنتاجه الأدبي شعرا ونثرا ، وشاهدنا على ذلك ديوانه وكتبه الأخرى مثل كتاب « الخدمة الكبرى » وكتاب « مأساة واق الواق » .

مفهوم الشعر عنده إذن مفهوم سياسي ، وما اظنه في المرحلة التي عاشها وشارك فيها من تاريخ وطنه كان يستطيع ان يكثر من الشعر في أي غرض آخر غير السياسة . والا فكيف كان يتأتى له وهو الشاعر الوطني القيور أن يغني للحب أو للطبيعة ، أو لغرض ذلك من أغراض الشعر ، وهو يرى كل يوم من مآسي شعبه ما لم تنكب به الإنسانية في أحلك عصر من عصورها ؟

ولعل خير ما يلخص مذهب الشاعر ومفهومه للشعر قوله من قصيدة يحن فيها إلى وطنه وهو في منفاه :

اصبو إلى أمي حبا ، وابعثها بعثا ، وابني لها بالشعر بنيانا
اصوغ للعمي منه أعينا نزعتم عنهم ، وانسججه للصم آذانا

وما حماة يراعي خالقها بيدي إلا ليصنع اجيالا واطنانا
يخاله الملك السفاح مقصلا في عنقه ، ويراه الشعب ميزانا

- ٤ -

والزبيري يمتنى صميم ، نشأ يتيما على شيء من الشظف والقللة ، وبدا حياته طالب علم ينحو منحى الصوفية في روحانيتهم وعزوفهم عن الحياة المادية .

ولم ينتزعه من اجواء الصوفية غير عشقه للشعر ، حتى اذا تهيات له أدواته ، من علم وثقافة وتجربة ، وجد نفسه امام قوتين غير متكافئتين: قوة الشر ممثلة في حكم الإنمئة يسومون الشعب سوء العذاب ، وقوة الخير ممثلة في قلة من شباب اليمن الاحرار ، وهبوا حياهم لوطنهم .

وكان طبيعيا ان ينضم الشاعر إلى قوة الخير ، إلى هذه القوة التي ينتمي افرادها ببيتهم واسرهم ومجتمعهم وعواملهم الوراثية ودولتهم ، إلى ما قبل خمسمائة عام أو تزيد . . . ولكن كتب عليهم ان يفتحوا اعينهم على عصر آخر غير العصر الذي يشنون اليه ، وان يكونوا جسرا يعبر الشعب عليه ، ويقطع مسافة قرون طويلة . وتلك رسالة من اصعب الرسائل التي يتحملها جيل من الاجيال !

وكان في عقيدة ذلك الرعيل الاول من الشبيبة اليمنية ان جيلهم المخضرم لا يستطيع النهوض بتكاليف هذه الرسالة الا اذا نجح في امور ثلاثة :

اولا - ان ينضج فهمه واثمناؤه لروح شعبه وروح العصر القديم الذي ينتمي اليه شعبه نصحا تاما .

ثانيا - ان تكون عنده نزعة روحية ترتفع به فوق اهوائه الذاتية ، ومنافسه المادية ، لكي تكون هذه النزعة بالنسبة اليه كمحطة الفضاء التي يراد لها ان تكون مرحلة بين الارض والسماء .

وبغير هذا التسامي لا يستطيع الجيل المخضرم ان يقاوم عوامل الضغط الهائلة من عالمين اثنين: عالم شعبه المعرق في القدم ، والذي تسوده - كما يقول الشاعر - نواميس الموت والتحجر ، وعالم الشعوب

صدر حديثا في

سلسلة القصص العالمية

والحلقة الثانية

الحلقة الاولى

قِصَصُ كَامُو

قِصَصُ سَارْتَر

في كتاب واحد يضم : الغريب - الزوجة الخائنة - الجاحد - اليكم - الضيف - جوناس - الحجر الذي ينبت

في كتاب واحد يضم : الجدار ، الغرفة ، ابروسترات - صميمية - صداقة عجيبة

ترجمة

عايدة مطرجي إدريس

الثن ٤ ليرات لبنانية

تفرا عن الفرنسية

الدكتور سيبيل إدريس

الثن ٣٥٠ ق.ل

منشورات دار الآداب

العصرية الحديثة التي تلوح له بسحر حياة لا يستطيع ان يحيها بطريقة طبيعية كما هي ، مهما تكلف وتكيف !
على ان فهم هذا الجيل المخترم لروح شعبه ، كان يقتضيه فهما كاملا لظروفه السياسية والاجتماعية والدينية ، وكل ذلك لن يكن ليتأتى الا عن طريق التجربة ، والتعامل مع القوي السياسية التي تمثل سلطان القديم كله . هذا الى جانب دراسة الشعب عن طريق ممارسة الحياة التي تحياها الجماهير ، ممارسة صادقة عميقة ، لا ممارسة مسرحية !
ومن خلال الحس الوطني ، لمنى المهمة التي ندبوا انفسهم للاضطلاع بها ، منذ اكثر من عشرين عاما ، راحوا يمارسون التجربة الحية على الطبيعة ، بنسب ركام شعبيهم وحطام تاريخهم ورواسبهم الى الاعماق .

— ٥ —

وقد مرت ممارسة هذه التجربة في اطوار انتهت بهم هم السوي اليقين الثوري ، ثم بهم وبالشعب اخيرا الى الثورة !
ففي الطور الاول للتجربة اخذوا يمشرون بافكار عصرية بحتة تنقل الى الشعب كما هي . بيد ان هذا الاسلوب لم يلقى استجابة ، بل على العكس كان له رد فعل شعبي ورسومي مضاد ، وانطلقت الشائعات من حولهم ، كشائعة اختصار القرآن التي نسبت اليهم كذبا ، وسهل على الحكم الرجعي ان يلقي وجودهم بالسجن دون ان يكتشفوا على ضوء هذا التطور من التجربة معدن الحكام على حقيقته .

وفي الطور الثاني راح من بقي منهم خارج السجون ومنهم الشاعر يدرسون نتائج التجربة في طورها الاول ، منتهين الى انه لا يتم عمل ، ولا تقدم ، ولا تنجح دعوة عن غير طريق الدين ، الذي يستمد الحكم منه سلطتهم .

وقد رأوا ان نجاح الدعوة للثورة عن طريق الدين ، سيؤدي السوي واحد من امرين : فاما ان يسمح الحكام للفكرة بالانتشار السلمي على مستوى الحكومة والشعب معا ، واما ان يرفضوها ويقاوموها ، وهي دعامة حكمهم ، وعندئذ يضطرون لهدم هذه الدعامة ، ويصبح حكمهم بغير اساس ... ولكن هذه المحاولة لم توصلهم الى شيء غير السجن !
وفي الطور الثالث ، اتجهت التجربة عندهم الى اسلوب الملائنة والتزامن للعاصفة ، بعد ان وجدوا انفسهم سجناء ((جبال الالهونوم)) النائية العالية في شمال اليمن حيث شيعة الائمة ينكرون بهم !
واستطاع الشعر في هذا الطور ان يقنع الحكام بانهم ليسوا اعداء لهم ، فاطلقوا سراح البعض بعد تسعة اشهر من السجن والتعذيب ، ملوحين لهم بالمال والمنصب ! ومعنى ذلك ان اولئك الحكام لم يتفروا في شيء بعد اطلاق السجناء الا في الاستعداد لمساومتهم من الناحية الشخصية !

ويحدثنا الشاعر ان هذه المساومة قد انتهت مدة تجربته مع الامام يحيى بالذات ، اذ ادرك عن يقين ان الامام يعادي كل تطور وكل اصلاح ، وانه لا ينفع معه رفق ولا لين ، ولا استعطف ولا نناء .
ومهما يكن من امر ، فان هذا التطور من التجربة كان خصبا عميقا هاما ، فقد اعطى الشاعر ورفاقه الاساس الاول للثورة ، وهو اليقين باستحالة تغيير الامام يحيى عن غير طريق القوة .

ولم يكن هذا اليقين الثوري ليحصل ، الا بعد مرور التجربة بكل هذه الاطوار ، واهمها - كما يقول الشاعر - « استعطف الشعر للحكام بكل ما فيه من تأثير عاطفي شديد ، ومن اسلوب لو توجهنا به السوي الشياطين ، والابالسة ، لربما حولناهم الى طريق اخر ، او جعلنا منهم ملائكة وابطالا ! »

ويذكر الشاعر ان نضالهم واحتكاكهم بالامام يحيى توجيهها وتبشيرا ، واستعطفها ومدحا ، ونظرا واعتدالا ، وسجونا واغلالا ، قد اوصلهم الى عدة حقائق ثابتة تلخص في : ان ذلك الامام عنيد مستبد مثاله ، ينزع الى التسلط والاصرار على خنق الشعب ، ويرفض الحياة وتطور البلاد سلميا تدريجيا ، وان العزلة والتأخر والفساد في اليمن ليست آتية تلقائيا لعوامل تاريخية وجغرافية ، وانما للحكام دور اساسي في تجميدها

وحمايتها ، وان عليهم ان يتحملوا جزء هذا الدور ومسؤولياته . ولهذا كان لا بد ان يأخذ التطور في نظرهم طابعا ثوريا لا هوادة فيه !

وعندما تكشف الموقف عن هذه الحقائق اعلن هؤلاء الشبان حركة المعارضة العنيفة من عدن والقاهرة : وقد ادت هذه الحركة اخيرا في سنة ١٩٤٨ الى مصرع الامام يحيى وبعض بنيه ورجاله ، ثم الى فشل الحكم الثوري الدستوري ، والى المذابح والفتن ، والخراب والدمار ، ثم الى حكم الامام احمد الرهيب !

وما قيل من شعر في استعطف الامام يحيى ، وفي الشكوى من احوال السجن كان ينتشر انتشارا سريعا في صفوف الشعب ، ويحدث اثرا عاطفيا في صالح الاحرار المعتقلين ، ويهيب الشعب لتقيد تصرفات الامام .

ويبرر الشاعر ما قالوه من شعر في استعطف الامام ومدحه ، بانه كان ينطوي على تصوير للام السجن ، قصد به تسجيل هذه الحقيقة تاريخيا . ومن جهة اخرى فان المبالغات في المدح والشكوى والاستعطف تقدم للاجيال - على حد رأي الشاعر - صورة رمزية لبشاعة العلاقة بين الحاكم والمحكومين ، ممن اوقعهم الاقدار تحت رحمته ، فاضطروهم بقسوته واستبداده ومنطقه المثاله الى ان يمدحوه ذلك المدح ، الذي يتحول بطبيعته الى لون رمزي من الوان الهجاء !

— ٦ —

وعندما ظهر الامام احمد على مسرح الحكم استطاع في اول الامر ان يخدع الفئة الواعية من الشعب بظواهر تصرفاته ، كاطلاق سراح سجناء الشباب ، وتأمينهم ، ومطابرتهم الافكار والاشعار في مجالسه ، كما استطاع ان يخدعهم بالفاز تصريحاته الرمزية التي توحى بالتعمر من حكم ابيه ونسبة الرجعية والفساد اليه .

وعلى هذا الاساس راح شاعر كالزبيري مثلا يمدحه مخدوعا وينفخ فيه روح الطموح والبطولة ، ويحركه باحلام الشعر واشواق المجد . ولم يكن ذلك من الشاعر لانه - كما يقول - يطلب منصبا او مفنما شخصيا ، فهو لم يتقلد منصبا ، ولم يقبل وظيفة ، ولم يكسب منه مالا ، وانما فعل ما فعل بغية ان يتلمس لبلاده منطلقا لمجد ، وسبيلا لتطور واصلاح .

ولكن سرعان ما انقلب الامام احمد الى طبيعته ، وصرح على الملا بانه سيلقى الله ، ويده مخصبة بدماء الابداء ، وان من يقرأ طه حسين والعقاد والرافعي وامثالهما سيلقى الموت !

وقد عظم هول المفاجأة على طليعة الاحرار عندما تبينوا ان حكاهم يكرهون النور والتجديد ، حتى ولون كان في صورة شعر يمدحهم ويتفنى بآمال الشعب فيهم .

ورب سائل يسأل : هل كان شعر المدح هذا امرا محتوما ؟
ويجب الشاعر قائلا : « نعم ، بكل تأكيد . فاصدار قرار بالثورة

فندق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز وأسعار معتدلة

بإدارة: حلمي المباشر

مضمونه من كل العناصر المتفجرة ، وبه استطاع أخيرا أن يكون أحد الدافعين بالشعب الى مرتبة اليقين ، بالأ سبيل الى النجاة مما يقاسيه من أهوال الا بالثورة ... فثار !

وقبل ان ينطلق الشاعر بشعره على طريق الثورة ، وخاصة بعد ان تمت له ولرفاقه كل عناصر اليقين الثوري ، نراه يستهل العمل الثوري بوضع المادة الاولى في دستور الكفاح الشعبي ، حتى تكون منطلقا ومبدأ له ، ولكل من اختار مثله طريق الشرف والجهاد . في هذه المادة يحدد الشاعر في قصيدة مفهوم الكفر والايمان بالوطن ، وكانى به في الوقت ذاته يريد لهذه القصيدة ان تكون شعار الثوار ، ونشيد الاحرار ، فيقول :

كفرت بعزمتي الصامدة وقدمية الفضية الحاقدة
وعمر شباب نذرت به لشعبي ، وأهدافه الخالدة
وبالشهداء .. وأرواحهم تراقبني من عل شاهدة
اذا أنا أيدت حكم الطفافة وهادنتهم ساعة واحدة

كفرت بعهد الطفافة وما زخرفوه .. وما زيفوه
وأكبرت نفسي عن أن أكو ن عبدا لطاغية توجوه
وعن ان يراني شعبي الذي يعذب عونا لمن عذبوه
أأجشو على ركبتى خاشعيا لجنحة طاغية حنطوه ؟
أفتنو لطاغية جبهتي ؟ فمن هو ؟ من أصله ؟ من أبوه ؟

وأمنت بالشعب حتى وقد رأه الوري جثة هامدة
تداعى حوالبه أعداؤه ليقسموه على المائدة !
فهذا بشاؤ شهيد يعيث وذاك يساوم في الفائدة
وذا لليتامى يهز السياط لتعبت بالجنث الراقدة !
وكم من وليد حذار الحمام رأى نفسه صافعا والده !

سأمضي عنيدا فلا أنثي وأحيا كريما .. فلا أنحني
وأرفع نحو السما جبهتي كما ارتفعت جبهة المؤمن
أموت خميصا ولا أقبل ال فتات من القتال المحسن
أأطعم من قائل أمتي أرى الدم في كفه المنتن ؟
فلا نبضت نخبوة في دمي ولا عزني شرف الوطن
اذا حدث عن مبدئي أو رضيت بعيش من العار مستهجن !
ثم تمضي التجربة الثورية في طريقها ، وتزداد كل يوم دسامة
وعمقا ، فاذا الشاعر يستلهمها ، ويضيف الى دستور الكفاح الشعبي
مواد أخرى يلخصها بقوله :

لنمت أو نعش على الارض أحرأ را .. ولا عاش من يسيف الاهانة
ان شعبا يرضى الحياة سجينأ لا يساوي في قيمة .. سجانه
وحياة تصان بالهول والأذ لال .. ليست خليقة بالصيانة
ودماء تنمو على الضيم رجس نجسات كراتها .. خوانة !
كل شعب محا أساطيره السودووا رى تحت الثرى اواناه
قد تلاشت كل العهود الذليلا ت ، وبادت كل الشعوب المهانة
واستحالت عبادة الناس للنا س ، وأمسى حمل القيود خيانة !

- ٨ -

والآن ، وبعد أن حدد دستور الكفاح الشعبي وأعلنه ، يشرع قلبه ، ويتقدم الى ميدان المعركة ، ولكن بأي الجبهات يبدأ ؟ انه يبدأ بالتوعية الثورية في صفوف الجبهة الشعبية وهنا نرى الشاعر يعرض على الشعب صورا من حياته البائسة ، وواقعه الليم ، وكرامته المهذرة وانسانيته الرخيصة المضيعة ، فلعله ان يفزع من بشاعتها وشناعتها فيثار لنفسه .

وفي صورة من هذه الصور يتلفت الشاعر حوله فيرى الشعب بائسا جائعا عاثرا في شقائه ، وعلى الرغم من قيام الاحرار بالثار له

الصادقة المصممة المستمينة ، مع ضعف الحال ، وقلة الناصر ، وجهل الشعب ليس بالامر السهل ، وليس من الشؤون التي يقضى فيها بالظنون والاهام ، وتجيء نتيجة فورة عاطفية عابرة .

ان اليقين الثوري هو الاساس للثورة العميقة الصادقة ، وهو العامل الاول لصمودها . ولن يكون اليقين يقينا الا بعد جهد يبذل لدراسة الموقف . وسير اغوار الدولة وقواها ورجالها ، وتجربة كل الوسائل غير الثورية عليها نتجج في احداث التطور المطلوب .

والثورة لا تكون حقا ، ولا عدلا ، ولا وطنية ، كما لا تكون ناجحة الا يوم تكون ضرورة محتومة لا مفر منها . ان الثورة عنف وقتال ومذابح ، والمؤمنون بالتطور والاصلاح لا يقرون العنف والقتال الا بمبررات عادلة تبلغ حد اليقين ، والا كانوا مجرد سفاكين متهورين) . وهكذا انتهت تجربتهم مع الامام أحمد الى النهاية التي انتهت اليها تجربتهم مع أبيه ! وبذلك تمت عناصر اليقين الثوري الذي يفرض على الشبيبة اليمينية الثائرة ان تنفض يدها من كل أمل في الوصول الى تغيير الاوضاع تغييرا سلميا على أيدي الحكام .

وقد أسلمهم الطور الاخير من التجربة - على حد قول الشاعر - الى مصيرين لا ثالث لهما :

فاما ان نرضخ ، وندفن رؤوسنا في المقبرة الموحشة التي دفن فيها الشعب ، وندخل فيما دخل فيه الاكثرون ، فنأكل الجيف ، ونعيش كما تعيش الدود في القبور ... أو نثور ...!!
وآثرنا الاشق الاصعب ... ولكنه الاشرف ... فتمردنا ...

وانشدنا :

خرجنا من السجن شم الانوف كما تخرج الاسد من غابها
نمر على شفرات السيوف وناتي المنية .. من بابها
ونابى الحياة .. اذا دنست بعسف الطفافة وارهابها
ونحترق الحادانات الكبار اذا اعترضتنا بأتابها
سنعلم أمتنا .. أننا ركبنا الخطوب حنانا بها
فان نحن فزنا ... فياطالما نذل الصمصاب لطلابها
وان نلق حتفا فيأحبذا المنايا تجيء .. لخطابها
أنفنا الإقامة في أممة تداس بأقدام أربابها
وسرنا لنفلت من خزيبها كراما ، ونخلص من عابها
وكم حية تنطوي حولنا فننسل من بين أنيابها !

- ٧ -

نلك - أيها السادة - كلمة عن الملابس والظروف والايوضاع التي أحاطت بالشاعر ورفاقه ، وهي في الوقت ذاته ضرورة من حيث انها تعين على تقدير الشعر الذي نعرض له الان .

وقيمة الشعر الذي سجله شاعر اليمن في ديوانه « ثورة الشعر » ليست في صورته الشعرية الفنية وحسب ، وانما هي في ذلك وفي مضمونه السياسي الانساني وروحه الثورية ، تلك الروح التي وقف بها الشاعر يتحدى نظاما من الحكم أهون ما يقال فيه انه غير انساني ! ودراسة الادب الثوري عامة والشعر منه خاصة تظهرنا على انه يسلك عادة واحدا من اتجاهين ، تبعا لاختلاف أمزجة الشعراء وطرقتهم ووجهة نظرهم في خلق الشعور الثوري لدى الجماهير .

وعلى أساس هذين الاتجاهين يمكن تقسيم الشعر الثوري الى نوعين : النوع الاول شعر مباشر صريح في الدعوة الى الثورة والمناداة بها علانية ، مع الاصرار على عدم استعمال مرادفات لفظة « الثورة » ومشتقاتها ، حتى ولو أمكن الوزن العروضي من ذلك .

أما النوع الثاني ف شعر يهدف الى بذر بذور الثورة في النفوس ، مع تمهدها الدائم المتصل ، بكل ما يخز النفوس ويهيجها ، بقصص احداث طاقة من الجيشان أو الانفعال الباطن ، تظل تغذى وتحمى حتى تبلغ درجة الغليان فالقوران فالانفجار ! والشاعر في البلوغ بالنفوس الى مثل هذه الحال ، يسلك سبلا شتى وطرائق مختلفة ، تبعا لاختلاف أنواع الوقود بالنسبة للزمان والمكان والايوضاع .

وشعر الزبيرى هو من هذا النوع الاخير ، انه شعر يستمد

فانه لا ينهض بالثورة مع تهيب دواعيها ، فلا يملك الا ان يخاطبها
فسي عجب :

أيتها البائس الخميص ! متى تنهض من كيوه الشفاء المديد ؟
قد غذوناك من دماء الباليين ، ومن أكيد الملوك الصيد !
فلماذا نراك نضوا كما كنت ؟ فهل أنت طامع في المزيد ؟

وفي صورة اخرى يصور الشاعر دهشة الاحرار الثالين من
المدى الذي وصل اليه فزع الشعب من قسوة الامام يحيى ، فكيف
ان شيع هذا الامام حتى بعد مصرعه عام ١٩٤٨ يظل مصدر خوف
للشعب ؟ ألم يروه بأعينهم مقتولا مقبورا ؟ لماذا يظل يتمثل لهم في
كل ما تقع عليه أعينهم من انسان وحيوان وجماد ؟ يا لله ! أي طاغية
هذا الذي يظل وجهه الرهيب يربع الناس بعد موته ويبسود لهم
في كل شيء ؟

رب ! هذا الامام أشلاء مقتو ل ، وهذا قبر ..! وهذا رغام !
ورحاب الجحيم يصنع فيها كل شيء من أجله ، ويقام !
يعجب الموت انه لم يموت من ه ، ولم ينح من آذاه الانام
وزعت روحه على الارض يرتا ع اليمانون منه حيث أقاموا
فاذا بالحياة شفاء .. فيها كل شخص ، وكل شيء امام !

وفي صورة ثالثة يصور حال العزلة الطويلة المفروضة على الشعب
اليمني ، ويعجب كيف ان بعض الحكومات العربية تشجع حكامه على
الاستبداد به ، في الوقت الذي كان يتوقع يحق الاخوة العربية ان
يساندوه في كفاحه ، ويعاونوه في الخروج من محنته . في هذه
الصورة يقول الشاعر :

ظل في العزلة الطويلة حتى كاد ان يدعي الورى فقداه !
وتناسى ذوو الوشيحة قريبا ه ، أيشسى - عفوا - أخاخوانه؟
زعموا انه بعيد ..! ولو ما ت لديهم ما شيموا جثمانه !
ودعاهم فحطان يصرخ من هو ل الافاعي .. فشجعوا افخوانه !
لبت شعري ما بالهم أعرضوا عند ه ، وداسوا دموعه الهتانة ؟
أناصوا بمحوه من على الارض ، ام استصفروا على الارض شانه؟

وفي أعقاب ثورة ١٩٤٨ ، تلك الثورة التي قتل فيها الامام يحيى
وبعض بنيه ورجاله ، تكتسح اليمن موجة من اليأس ، ويركع الشعب
أمام الطغاة ، وتتكاثر التهاني والمبايعات للجلادين ، ولكن روح الشاعر
التي تستشف الواقع ، وتلمح ما وراءه من اصرار القوى الشعبية
على المضي في الكفاح مهما كان الثمن ، تعبر عن ذلك الواقع وتصوره
في هذه الصورة :

من وراء الاكذوبة المعبودة والتهاني الذليلة الرعيده
والهتافات والضراعات للاصم نام في ضجة الطبول البليده
والمزاد الذي يجدد بيعع الشعب فيه بالبيعة التكووده
والعهود التي يكررها الطا غي كباثه .. ليشرى عبيده !
ورؤوس الابطال يلهو وليسد القصر لهوا بها .. وتلهو وليده
والمحاذير والمخاوف تقتسا ل الضحايا المفجوعة المقتوده
والقنوط الوحشي يفترس الاحرار في ظلمة السجون البعيده
ألمح الشعب قابعا يدرس الثرة .. كيما ياتي بأخرى جديدة !

ويبدو ان ما قاله الزبيري ورفاقه من شعر التوعية الشعبية
قد أدى دوره في إثارة روح التذمر والسخط والتمرد . فهذه قبيلة
حاشد مثلا ، وهي من اكبر قبائل اليمن ، تشق عصا الطاعة على الامام
أحمد ، وينادي شيخها حسن بن ناصر الاحمر بالجمهورية ضد الملكية
والائمة ، وان كان لم ينج هذا الشيخ هو وابنه حميد البطل اليمني
من سيف الامام ، فقد ظفر بهما بعسد ان استسلما بالامان والوجه .

ثم أعدمهما غدرا وخيانة في يوم واحد بادئا بالابن ومثليا بالاب !
ومهما قيل في هذه الانتفاضة التي انتهت الى مأساة فان الشاعر
رأى فيها بوادر وعي وثورة على الطغيان والظلم ، ولهذا لم يقتله ان
يشميد بها ويحييها بقوله :

المسايين العطاش المرشبة بدأت تقتلع الطائي وصحبه
سامها الحرمان دهر لا يرى ال فيت الا غيته والسحب سحبه

لم تمل جرعة ماء دون ان ظمئت في قيده وهي تسمى
ها هو الشعب صحا من خطبه

٩ -

ومن جبهة النوعية الثورية يتجه الشاعر الى جبهة تجار الوطنية ودعاة
التخاذل والاستسلام . ثم يبدأ أزل ما يبدأ بتجار الوطنية الجاهليين
بحقوق الوطن ، والخائنية لدى أعدائه ، فيفضحهم بقوله :

وكم جاهل بحقوق الوطن يريد على كل خطو ثمن !
اذا وخزت رجله شوكة تقاضى جزاء عليها ومن
فان لم يحقق هواه النضا ل ، نار على شعبه واضطفن
وراح يلاوت طهر الكفاح ويبيدي العيوب ، ويذكي الفتن
وقدم شكوى بنا للامام بمن ويحه يشتكى ؟ ولن ؟
وعوذه ضد بطش الانسه زوعي الشعوب ، وسير الزمن
ويشره بانتهاء الكفاح ووضع السلاح وموت اليمن
وان المسايين لا ترتجيه غير الدعاء وغير الكفن !
وغير الصلاة على نفسها وبقيت خليفتها ... المؤمن !

أما دعاة التخاذل والاستسلام فيرى الشاعر من أمرهم عجبا !
فعندما أخذ نشاط الحركة الوطنية اليمنية يمتد الى عدن ، أشفق
اولئك المتخاذلون على أنفسهم ، وراحوا ، يدافع من الجبن ، يعملون
على ابعاد الاحرار عن المجتمع اليمني في عدن ، ويطاردونهم بشعارات
الصيد كقولهم : « لا تحرقونا بناركم ! » فهل يسكت الشاعر عن
هؤلاء ؟ كلا ! ان عليه ان يقاوم هذا الشعور الانهزامي كي لا يستشري !
وقد فعل .. في قصيدة صغف مضمونها من عسارة التهكم
والسخرية ، منها :

دعوننا ولا تقربوا جمعنا ولا تحرقونا بنيرانكم !
رضينا بانا عبيد الامام وأنا كما شاء عمي وصم !
نكبيل أقدامنا بالقيود ونعقل أفواهنا باللجم !
ونفرش مضجعنا بالقباء ونقتنع من عيشنا بالحلم
فماذا علينا .. لو انا نعي ش أعمارنا في الدجى المبلهم ؟

وهبنا الحياة لاوثاننا .. ونبض القلوب ، ونور البصر
فما نبتغي من شعاع الشموس ؟ وما ترتجي من ضياء القمر ؟
وفي الحشرات ... لنا اسوة تزهنا في حياة البشر ..
وفي عالم الدود عيش هنىء هبطنا الى مستواه الاغر ..
ولو نستطيع النزول البعيد نزلنا لمستويات الحجر !

١٠ -

ثم يخطر للشاعر فينتقل الى جبهة أعوان الائمة ، ممن وجدوا
أنفسهم - كما يقول الشاعر - في محراب الوثنية الامامية ، يقدمون
فروض التقديس والتمجيد ، والطاعة الذليلة ، والانقياد المطلق
الاحق ، لاشع ضروب الكائنات البشرية رجمية وانحلالا ، وفسيادا
وطغيانا ، بعد أن قطع الشعب شوطا بعيدا في كشف خبيثتهم وتمزيق
أقنعتهم . وهؤلاء يصطنع الشاعر في محاربتهم والتشديد بمهانتهم
أسلوب السخرية اللاذع القاتل :

أعلنوا في الارض ان الشعب قد أصبح عبدا
لم يجسد من وثن - بعبد دون الله - بدأ
قدموا منه القرايين الى الطغيان تهدي .
وانثروا فوق خطى السفاك أزهارا ووردا
واجعلوا كل دم يسفكه .. فخرنا ومجدا
أوهموا انكم متم تباريحنا ... ووجدنا
وتعذبتم لسدى غيبته .. غما .. وسهدنا
وبان الشعب ما جاع طوى ... بل جاع فقدا !
انما يرجوه أن يمنحه ... غلا وقيدا
ومزيدا من دراهمه ... وتقتيلا وجلدا
وبان يبقى على العرش الاله المستبدا

شجعوه وادفعوه كي يسوس الحكم فردا
ويصير الواحد القهار والرب المفدى !
واجسלוه لا يرى عيبا ولا يسمع نقدا
والنوا الاحرار كي تشفى حمياه وتهندا
وخلوا الاجرة منه ، ربا عليا ... ونقدا
رب تفرير بظفيان من الثورة اجدى !

ويحدثنا الشاعر عن انفجار طلوع الثورة عقب قيام الامام احمد
برحلة الى روما ، وعمما زعمه اعوانه وقتذاك من ان الامن قد غاب
عن الشعب اليمني بغيابه وان هذا الشعب بدون جلادين وسفاكين
شعب فاسد التكوين ، عاجز عن الطمأنينة والامن !
وباعجب من ذلك يحدثنا بان التوقيع الرسمي الملكي العتسد
لل امام والذي هو « الله احمد » ! كان في حقيقته تورية يدل معناها
العبد الخفي المراد على ان « احمد هو الله » !

ويشفق الشاعر من ان يلقي زعم اعوان الامام أي صدى شعبي ،
فيطلق صيحة مدوية ، يبدد بها هذا الزعم أو الوهم ، ويتنهد
بالتوقيع الاحمدي ، ناثرا في الوقت ذاته على هذه الوثنية اللاشعورية،
التي تؤله الامام ، وتجعل من فرد عساجز مريض علة وجود الشعب
وامنه ! وعن هذا وذلك يقول الشاعر من قصيدة طويلة :

اصرخوا في الاذان : الله احمد واجطوه ربا سوى الله يعبد
وازعمو انه الحفيظ على الارواح ، والمستعان في كل مقصد !
والخبير العليم ... عيناه في كل مكان ترى الخفايا وتشهد
والمتيع المسحور ... لا ينفذ الخنجر فيه ، ولا الرصاص المسدد
في يديه الارزاق يمنحها من شاء من شعبه ، فيفتي ويسعد
وهو ان شاء يمنح الرزق عن عبء ، فيعيما عن حيلة ويشرد !
وهو روح في الشعب .. لو تهجر الله عب ، تلاشى كجيفة .. وتبدد
وهو الدين والشريعة .. لو فارقه شعنا ... لالحد وارتد
مقتلساه الكبيرتان تحوط الشهب من كل طارق .. يتهدد !

ولنسلم .. بانه كل شيء ! ولنقل : انه اله تجسد
غير انا نراه يمرض كالنسا س ، ويحيا حياة من لا يخلد
ايها الواضعون كل مصير لهم في احضان شيخ مسود
قدموا من رؤوسكم قطع النة بير ، ان شل راسه او تيلد
فاذا ما استنظتم ذلك .. فزتم بأمان ضد المخاطر سمرسد
واذا ما عجزتم ... وعرفتم انه اليوم قد يموت او الفد
فاطلبوا امنكم من الشعب .. ان الش عب باق ... وقادر ان تعهد
ليس امنا .. الا الذي وهب الله عب ... ولا ذمة سوى ما تقلد
ليس مالا .. تلك الدماء التي امتصت ، وقلتم عنها : نضار وعسجد
كل قرش نهبتم ... ليس الا قاتلا .. غال جائعا وتعمد ؟

ايها الامنون ... اخطر امن ايها النائمون ... في شر مرقد
ايها النائمون عجبا .. لان الشعب في محنة الظلام .. مقيد
ايها الراقصون فوق حطام الشهب ، والشعب صابر يتجعد
ايها الضاحكون .. والشعب يبكي ايها الرافهون .. والشعب يجلد !
لا يفرنكم سكون من المارد ، يدي الخنوع وهو مصفد
يومه قادم .. فويل لمن وا جه يوم الحساب غير مزود !

عجبا للجبان ... يستمنح الظلم امانا ... للشعب ابقي واخذ
يتسوقى اغصاب محنصر فسا ن ... وينسى شعبا صخا وتمرد !

- 11 -

ومن جهة اعوان الحكم البائد في اليمن ، ينتقل الشاعر الى
جهة الائمة أنفسهم فيها جهم في قلاعهم وحصونهم ، ويشهر بحكمهم
الذي قلما شهد التاريخ له نظيرا في الطفيان والاستبداد ! وللشاعر
في هذه المعركة مواقف عبر عنها في قصائد باهرة ، لا يتسع المجال
لذكرها ، ولكني اکتفي هنا بنموذج واحد منها للدلالة على قيمتها

الفنية والسياسية .

وقد استوحى الشاعر موضوع هذه القصيدة من موقف الامام
احمد عقب عودته من روما ، على اثر استدعاء اعوانه له ، واستنجاذهم
به في اخماد الثورة التي قامت في غيابه ، باعتباره رمز العرب ،
ووسيلة الفاء الوجود الشمسي .

فالامام لم يكذب يمل الحديد عاندا من روما ، حتى وقف يحيي
الشعب على طريقة الطفاة ، ولم تكن هذه التحية غير خطاب متوحش
هدد فيه بقطع الرؤوس والايدي والارجل ، وطالب الشعب ان
يبارزه ان اراد ..

وقد بارزه الشاعر باسم الشعب ونياية عنه بلحمة شعريسة
كالبراكين ، يقذف كل بيت فيها باللهب والحجم في وجه الطاغية ،
وهاكم بعض صورها :

خطبة الموت فاسمعوها وطيروا فرحا ، وارقصوا لصوت النية
انتم في استقبال موكب جزا ر ، فمدوا رقابكم .. للتحية
صدت مديرة الامامة فاستم نوح ايطاليا مدى بابوية !
انهك الذبح سيفه فانانا بسيف معارة ... اجنية !

روح نبيرون ما زجت روح حجاج ، فجاءت اعجوبة في البلية !
واتى شعبه يهنده .. جه لا بيعت الرجمية الجاهلية
يتباهى بانه الهول والوب ل ، ورمز الطفيان والعنجهية
لم يسئل نفسه عن الشعب : كم كا بد في ظل حكمه من رزية !
لا يبالي مجاعة الشعب ما دا مت تفيد التجارة الجيلية
يتباى تسولا باسم شعب أرضه بالكوز ملاى غنية !
يجمع المجال للجياح ، فلا يشبع الا الخزائن المصرفية
وهبات تصدق الغرب والشرق بها في المجاعة الشعبية
باعها لليهود تجاره الاشرار ، في شر صفقة سرية
يقتل الجوع شعبه .. وهو لاه يشنكي للطلبان ضعف الشهية !

يستغل الاسلام حتى كان الد ين يبدو كسلعة .. احمدية !
وكان الشرع الشريف كما شاع ات امانيه - للمخازي مطية
وكان الطفيان والقتل والسل ب فنون من الصلى قدسية
وينادي : شريعة الله ، واللك ه بريء ... من العروش القوية !
لو راي الله قلبه لتهاولى وتخلى عن كل مسؤولية ... !
وللقى للشعب بالتاج يبني بيديه الحكومة الوطنية
واراح البلاد من همه العسا تي ، وامراض عرشه الابدية !
وتوارى عن شعبه خجلا من له ، واحنى جبينه للرعية !
وابى ان تمحى البلاد ويفنى الشعب .. من اجل نزوة شخصية !

ليس في الدين ان نقيم على الضية م ، ونحني جباهنا للندنية
ليس في الدين ان تؤله طفيسا نا ، ونعنو للسلطة البربرية
ليس في الدين ان نقديس جلا دا ، ويمناه ... من دمانا روية !
الركوع الدليل في غير وجه الالك ، رجسى بنا الى الوثنية !

أطلق الشعب من اسار ومكذ ه من الحكم في الخطوب المصية
اعطه حقه ورد .. اليه دون بطء حياته الملفية
ليس في الدين ان تكون بلا را ي ... ولا عزة .. ولا حرية
طبع الله في جوانحنا البسا س .. وسوى لنا الانوف الحمية
وجرى روح الله عبر خلايا نا ... مزيجا بروحنا الوطنية
والمزايا في الشعب لبعض دون ال بعض ، سم الاخوة القومية
وعدو الجييع من يحكم الشهب ب باسم القساسة العائلية
نحنن أدنى لله من كل جيا ر ، واولى بالشرعة النبوية
لا سيوف تذلنا ، لا سجون تصنع الرق في دمانا الابيسة
وسجون الارهاب والبطش والرق ، عقاقير ... باليات غيبة !
فتاله ... وخذ مكانك فوق الشهب مس .. فوق العلياء .. فوق البرية

وانخذ سلما من الانجم الزه
وتنمر .. وابعث لنا هول غنيم
وابتعد واحتجبه وكن أنت لفرزا
حيثما تختبئ من الشعب يدرك
وتفجر صواعقا ... وتحول
وتوعد ما شئت..واقتل، ودمر
نحن قوم لا تحمل السيف أيدي
غير انا عزم ... نسير كعزم الا
ضربة من ارادة الشعب بالسو

ر ، ونعلا من اكبد البشرية
ك خلال الاشعة الكونية
طي لفرز المالية اليمينية
ك ، ولو في الكواكب الروسية
طبعا طائرا أو ارق رقيقة
واستمن بالجحافل الدولية
نا ، ولا خنجرا ... ولا بندقية
ه في دربنا ، ونمضي مضيه
ط ، تذل القنابل الذرية !

وتتمة لهذا الموضوع لا يكتفي الشاعر في مبارزته للامام بالجمولة
الاولى ، وانما يتبعها بجمولة اخرى بغية الاجهاز عليه وعلى اعوانه
الزاعمين بان الشعب يخاف من نفسه ! في هذه الجمولة يسأل الشاعر
في انكار : هل يخاف الشعب من نفسه ؟ ثم يبادر فيجيب عن
السؤال بقوله :

فما خطبهم، يا ليت شعري! ومن هم؟
جهنم ، أو تهبط عليهم جهنم
ألا يستطيب العيش الامنوم ؟
بيرة الا السجن، والقيء، والدم ؟

يقولون : هذا الشعب عبد تلذه
فان كنته يا شعب.. فافرح بمهدك
وطب بالكري عيننا.. فانك موثق
ولا تخش من زلزال شعر اصوغه
ولا تتحرك .. لو تحرك جنبل
ولا ترتقب فجرا .. فحولك ظلمة
وكن آمنا من لسعة النحل انه
هراء يقول الكافرون بشعبهم

ثم لا يقف الشاعر بشعره عند حدود اليمن وما يضطرب
في داخله من صراع بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والعدل
والظلم ، والحرية والاستعباد . انما نراه بالاضافة الى كفاحه السياسي
في الميدان الداخلي يعبر الحدود الى حيث يشرق ويفرب في ارجاء
وطنه الاكبر ، منفلا باحدائه معبرا عنها بشعره .
وعلى سبيل المثال تهزه ثورة العراق الاولى فيحبي ميلادها
بقصيدة منها :

صيحة الشعب في بلاد الرشيد
ازحفي كالطوفان يانورة الشم
طهري جونا من الموت والصم
اخوة نحن في القيود .. فهيا
الطفاة الالى اغصوكم الر
وهم عندنا اراقم تخفي السم في لونها الجميل الودود !
ويعصور حال شعبه الذي وقع ضحية وفريسة بين غاصب محتل
وحاكم ظالم مستبد فيقول :

نصف قرن عشنا ينم به المحتل
هجعنا كالفرغ لا يزج المح
شطرنا يستفث من غاصب فظ
وكلا القاتلين ينهش في جثثه شعب نهش النهوم الحفود !
فاذا ما تصايحا ... فكقططين استباحا اشلاء جسم بديد !
ويدل بشعره على اعدى اعداء العروبة فيقول :
شر ما يقتل العروبة اونها
ونفذي فيها الوهية الاف
ونربها بانها الرمز للع
تقتل الشعب أو تخون فلا تسمع غير التقديس والتمجيد !

- ١٢ -

ويشاهد احوال الرجعية العربية التي اصطنعها الاستعمار أداة
لتحقيق مآربه فيصنفها بقوله :
وانذرانا العدى فاضفوا على اص
جعلوا منهم حمى ... للخيانا
وسلاحا لقتل كسل شريف
منذ كانوا اجنة فهم امسا
يرثون الشعوب ارنا رخيصا
كيف ياتيهم الشعور باننا ..
سوف لا تشتري الشعوب ولا تبنا
فقد الاجنبي آماله فيهم
ويصف الشاعر انطباعه عن مصر وشعبها في عهدنا
الجديد فيقول :

اني لا حيا بالعزة في بلاد الاكرمين
الرافعي علم العروبة فوق هام العالمين
الصامدين أمام تيار الاعادي الطامعين
الواقفين جواقف الاساد في قلب العرين
الساحقين بعزيمة الابطال هام المعتدين
الحاملين على عواتق حكمهم عبء القرون
الصاعدين الى الذرى متضامنين مصممين
الطالعين على الظلام طليعة الصبح المبين
الصانعين نواة وحدتنا ، تراث الاولين
المنقذين قناتنا من قبضة المتناصين
المنصفين الفقر من شطط الفواة المترفين !
الباعثين من التراب جلال ماضيها الامين
كره العدى لهم دليل ان حكمهم امين
بشرى لنا انا نؤازر عهدهم متجمعين
حرب المصائر لو خبرناها هلكنا اجمعين !

- ١٣ -

ويعد ... فان من الصفات التي يتحلى بها من يتصدون للقيادات
الجماعية ومن يختارهم القدر للوقوف امام قوى البغي والشر انهم
لا يشكون او يكون مما يصيبهم من بلاء أو مكروه في سبيل تحقيق
ما ندهبهم القدر له . بل انهم على العكس من ذلك يجدون في الاضطهاد
والتعذيب من أجل العقيدة والمبادئ حافزا على مضاعفة الكفاح
والاصرار عليه ، لانهم لا يتوقعون من اعداء الحياة المناهضين لهم
خيرا أو سلاما .

ولكن أشد ما يؤلمهم ويوجعهم حقا ان يجدوا ممن يدافعون عنهم
وعن حقوقهم من يتشكك في حسن نواياهم ، ويقذفهم بالتهمة الباطلة
في وجوههم ! وذلك ما حدث للشاعر ورفاقه الاحرار ، فانهم لم يسلموا
ممن يحسدونهم على التفاف الشعب حولهم والثقة بهم !
فماذا قال الشاعر لهؤلاء القاعدين المعوقين ، الحالين بمجد
بلا ثمن ؟ لا شيء أكثر من عتاب وانذار : عتاب لاولئك الحاسدين ،
وانذار نهائي يوجهه الى حكام اليمن .

أما عتابه للحاسدين ، والذي يدل على مدى أريحية العربي
الاصيل ولطف شمائله فيقول فيه :
ايها الفاضبون من ثقة الشعب
ايها المرهقون .. ياسا وغما
ايها الحاسدون من أجل عبء
لو حملتم من امره ما حملنا

ايها الزاعمون انا احتكرنا
ما احتكرنا نضالنا .. بل دعونا
هالكم صبرنا على كسل خطب
انتم .. ليس نحن .. غبتم .. ليبقى

يعلم الله اننا نتمنى ..
بل وندعو .. ان تسبقونا وتجنوا

لو رجعتم .. بعد العقوق الينا
ثمرات الختام مما ابتدينا !

أيها الكارهون أن يقبل الشعب
عرفتنا آهانه .. وماتت
سقمه يصرف العلاج بأيد
أي ذنب لنا .. اذا عرف الشعب
جرحه دله على جرحنا الدا
دمعه شاهد باننا شربنا
خطبه عاش بيننا .. فهو يدري
أذنه لا تكاد تسمع مرثنا
صهرتنا آلامه ... فامتزجنا
منحونا الدنيا لكي نبتد الش
ويبيعون ألف تاج بأسمنا

ب علينا ... بالله ماذا جئنا ؟
يه ، فتؤنا بنارها واصطبلنا
نا ، ويدري بوعيه كم شفينا
ب لنا اننا له قد وقينا ؟
مي ، فسوى ما بيننا واستويينا
ه كؤوسا من الاسى واحسبنا
كم جرينا ... لطفه وسعينا !
ة تزية غير ما قد رثينا
واتحدنا بروحه .. والتقينا
ب ، ونفضي عن ظلمهم فأبيننا !
ل فقير من شعبنا .. ما شربنا !

أما انداره النهائي الى حكام اليمن الواقفين باصرار وطفیان في
طريق انبعاث الشعب وتقديمه فيقول فيه :

أبها الظالمون .. أهي صخور
احدروا يوم الشعب يوم يلاقي
ويقول النوام : ها نحنن آخرا
يوم ينقض شعبنا كالبراكيد
وترون الجمهور جن فلا يد
من عبيد ... تخر آلهة اليو
وحفاه يقون من جلد جنكيد
وجياع تضج انالعد فيكم :
ويقور تنشق عن من قتلتم
وكنوز من الحرام يرأسا
وقصور .. يثر منها ذووها

ما هزنا منكم ، وما نادينا ؟
كم ، ويعطي الدرس الذي أعطينا
ر .. سخفتنا هول الدجى وصحونا !
ن ، يريكم من امره ما أرينا
رف لينا ، ولا يخاطب هونا
م لهم سجدا .. وتطلب عونا !
ز حذاء .. يقضي لهم منه دينا
أطمونا من لحمكم ما اشتيننا
فينادونكم : ألا قد انينا !
مقتنوها الطفاة .. هلكا وحيننا
ويقولون : ليتنا ما بنينا !!

- ١٤ -

أجل - أيها الحفل الكريم - لقد أكرهتهم ثورة الشعب اليمني
أخيرا على أن يفروا من قصورهم ، متكبرين منغورين الى خارج الحدود،
عظة وعبرة لامثالهم الطفاة ، ممن يعيشون بعقلية عصور الظلام !
وبعد ... فان التنقل مع الشاعر في ديوانه « ثورة الشعر »
فيه متعة للنفس ، وغذاء للقلب والعقل ، واذكاء للشعور ، ولا أزعج
اني بجولة الياة فيه قد أهدت بكل أبعاده ، وان كانت قد دلت على
محتواه . وهو محتوى اذا أخذناه نهودجا للشعر اليمني المعاصر ، فانه
- بلا شك - يعطينا صورة واضحة عن الدور الطبيعي الذي قام به
هذا الشعر في التوعية الثورية ، تلك التي انتهت بالشعب الى اليقظة
فالحركة ، فتحطيم القيود ، فالثورة ، فالانطلاق في أمل وايمان الى
تشكيل مصيره حرا كما يريد ، لا كما يريد له حكام العهد البائد !

ولعلكم على ضوء النماذج التي ذكرتها الليلة تشاركونني الرأي
في ان هذا الشعر السياسي الثوري وليد تجارب ذاتية ، وانه يتميز
بالقوة والجمال ، والصراحة والجرأة ، والصدق في الشعور والتعبير
عن نزعمة الشاعر واتجاهه القومي .

وإذا بحثنا عن العناصر التي أعانته على البلوغ بشعره الى هذه
اللكانة المرموقة ، فاننا نجدنا في أصالة شاعرته التي تهيأت لها
كل عناصر الشعر الرفيع ، وفي رعاقة حسه ، وصوفيته التي لم
تفسدها الحضارة المادية بترفها ولهوها ، وفي شعوره بالظلم المفروض
ظلمًا على شعب من أذكي الشعوب العربية وأعرقا حضارة ، ثم في
عقيدته الوطنية الخالصة ، عقيدته التي تأبى المساومة على الحق ،
وتنكر الهوادة في طلبه !

وإذا كان الزبيري قد قصر شعره أو معظمه - كما يقول - على

مذهبه السياسي ، فانه نجح في تطويع كثير من أغراض الشعر واحالتها
الى أغراض سياسية ، يستلهم فيها عقيدته ، ويستوحي مضمونها
من احداث الوطن وواقع حياة الشعب ونضاله . ومعنى ذلك انه وهب
شعره لعقيدته ، وفني فيها فناء تاما .

أما عن سمات شعره وخصائصه ، فيمكن تلخيصها في سمسة
أو خصيصة واحدة ، هي الجودة في كل شيء :

فهو جديد في مضمونه ، لانه شعر مذهبي عقيدي أوجدته ظروف
اليمن في مرحلة المخاض الثوري ، واستمد عناصره السياسية منها .
وهو جديد في معانيه ، فكلها قد اقتبسها الشاعر من أحلام
الغد المرجو ومن وهج الصراع الناشب في يمن ما قبل الثورة بين
قوى الخير والشر ! مع التعبير عن كثير من هذه المعاني بأسلوب
السخرية والتهمك اللاذع !

وهو جديد في الوسائل التي استخدمها لتحقيق هدفه من
الثورة على حكم الطغيان والفساد ، والتخلف والجهل ، وهز روح
الشعب وكرامته كي يقضب ، فيثأر لنفسه ، وينزع حقوقه المنتصبة ،
من مخالف المتغصين !

وهو جديد في أخلاق صاحبه وعواطفه ، لما تجلى فيه من وفاء
للعقيدة ، وثبات على المبدأ ، وصمود في الكفاح ، وفداية في البذل ،
وجرأة في الحق ، والزام للنفس بما يلزم وفوق ما يلزم ، وتمسك
مع الشعب ، وايمان به على الرغم من كل شيء !

ثم هو جديد في دماثة لفته ، وجمال أسلوبه ، وإشراق ديباجته ،
ونفوذ خياله ، وعذوبة موسيقاه !

وبهذه الجودة المتعددة الجوانب في اطاره اليمني انفصل شعر
الزبيري عن سابقه ، وربما عن كثير من الشعر اليمني المعاصر ، حتى
صار لونا مستقلا بذاته يعرف به . وهو بالنسبة لسياسة اليوم
شبيه بشعر الخوارج بالنسبة لسياسة الامس .

ومن العسير على دارس ديوان « ثورة الشعر » ان يفصل نشاط
صاحبه السياسي عن نشاطه الشعري لاقتراهما وتلازمهما . فكلهما
متأثر بالآخر مؤثر فيه . ومن ثم فالدارس لهذا الديوان يجد نفسه
أمام شاعر سياسي او سياسي شاعر !

على ان الزبيري في الواقع ليس الا واحدا من شعراء كثيرين
أظهرهم الشعب اليمني خلال نضاله الطويل ، وكفاحه الشاق المرير
ضد حكام متالئين مستبدين ، حكام يريدون ان يميثوا شعبا حيا أولا ،
ثم يحكمونه ثانيا على صورة ينطبق عليهم فيها قول شوقي في
السلطان عبد الحميد :

ما في رعاياك من تخشى عداوته فاحكم ، فانت على الاموات سلطان !
فاذا أخذنا مثلا لشعراء اليمن الاحرار ، فاننا نستطيع الحكم
بان الشعر اليمني المعاصر قد نهض وتطور ، وقام بدور أساسي في
تاريخ اليمن السياسي والاجتماعي الحديث ، مع بلوغه في الوقت ذاته
من الناحية الفنية درجة ملحوظة من الاصاله والتجديد ...

ولكن أين الزبيري بعد الثورة المباركة ؟ انه هناك في اليمن ، لم
يلق سلاحه ، ولم يتوقف لحظة عن العمل والكفاح !
انه يساهم اليوم في معركة البناء القومي وزيروا للتعليم ، وفي
يده مشعل ثوري يبدد بنوره ظلام الجهل ، الذي فرض على اليمن
ظلمًا منذ أجيال وقرون !

فتحية واكبارة لأخ عربي مناضل ... شاعر ثائر !
تحية له ولرفاقه الاحرار ، من شهداء وأحياء !
وتحية للثورة المباركة ووعماها !
ثم تحية للشعب الذي صبر وانتظر ، ثم حطم القيد وانتصر !
وليكن شعار اليمن منذ ميلاد الثورة أبدا :

الى الامام ، الى الامام ... !!

عبد العزيز عتيق